



الخطبة الدراسية للفصل الأول للعام المأتمي ٢٠١٥-٢٠١٦م

الفرقـة: السابـعة
رـمز المـقرر: سـير ٧٠١
اسم المـقرر: السـيرة النـبوـية (١)

توصيف المقرر

يتناول هذا المقرر عرضًا تحليليًّا لسيرة النبي محمد ﷺ بصورة تحليلية منذ ولادته ونشأته في مكة، ثم بعثته ﷺ إلى أن قرر أن يهاجر إلى يثرب. ويحاول التعرض للمسائل بصورة موضوعية بعيدة عن التعصب وبنظره ملؤة بالعقلانية.

الخطبة الأسبوعية

الأسبوع	الموضوع	الصفحة	ملاحظات
الأول	السيرة النبوية ومصادرها	٥	
الثاني	حالة المجتمعات قبل الإسلام	١١	
الثالث	نشأة النبي وطفولته	١٧	
الرابع	في عنفوان الشباب	٢١	
الخامس	البعثة النبوية	٢٧	
السادس	الدعوة الجهرية	٣١	
السابع	مقتطفات في مكة	٣٧	
الثامن	هجرات المسلمين	٤١	



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان	الدرس
٥	السيرة النبوية ومصادرها	الأَوْلَى
١١	حالة المجتمعات قبل الإسلام	الثَّانِي
١٧	نشأة النبي وطفولته	الثَّالِثُ
٢١	في عنفوان الشباب	الْبَرَاعَةُ
٢٧	البعثة النبوية	الْجَامِعُونَ
٣١	الدعوة الجهرية	السَّلَامُونَ
٣٧	مقطفات في مكّة	السَّيَّارُونَ
٤١	هجرات المسلمين	الثَّامِنُونَ

السنة النبوية ومصادرها

الدرس

درس اليوم



كلمة السيرة مشتقة من كلمة السير، والسير يعني المشي والحركة، بينما السيرة تعني طريقة المشي والحركة والسلوك.

وبعبارة أخرى: السيرة عبارة عن الأسلوب والنمط الذي يتبعه الإنسان في حياته وفي أعماله اليومية عليهم السلام.

وعندما نبحث في السيرة النبوية فإننا نريد التعرف على الأسلوب والنمط الذي كان يتبعه النبي محمد بن عبد الله عليهم السلام في أعماله اليومية للوصول إلى أهدافه النبيلة، فمثلاً: كيف كان سلوكه؟ وكيف كانت أخلاقه وعلاقاته مع أصحابه وزوجاته ومجتمعه؟ وكيف كان يبلغ رسالته؟ وما هي الأحداث التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله وكيف كان يتعامل معها؟ وكيف كان يقود مجتمعه إدارياً وسياسياً واقتصادياً وتربوياً وتعليمياً؟ وغير ذلك.

إن الكشف عن جوانب شخصية النبي عليهم السلام وما يرتبط ب حياته وموافقه وسلوكه وأوضاعه وطريقة تعامله مع الأحداث والتحديات والمستجدات وغير ذلك هو ما يراد بحثه عادة في السيرة النبوية.

ومن المعلوم أن السيرة العظيمة للنبي عليهم السلام قد تعرضت للكثير من الجعل والافتراء والتشويه على أيدي الكثرين من حكام ومتذمرين وغيرهم.. حيث كانت لدى هؤلاء خطة خبيثة تستهدف النيل من شخصية النبي عليهم السلام وسيرته، وقد نفذت هذه الخطة عن طريق دسّ نصوص مختلقة ومزيفة في كتب السيرة والتاريخ تسيء إلى رسول الله عليهم السلام وتنسب إليه ما لا يليق به.

ولذلك أصبح من الضروري جداً إذا أردنا أن تكون صورة واضحة ونقية عن حياة وسيرة رسول الله أن نعتمد على مصادر صحيحة، ومعايير وضوابط تكون قادرة على إعطائنا الصورة الحقيقية الأكثر نقاءً وصفاءً عن



شخصية النبي ﷺ، وتكون قادرةً أيضًا على إبعاد ذلك الجانب المصطنع والمزيف من النصوص عن محظتنا الفكري والعملي بصورةٍ كاملة.

فما هي تلك المصادر التي ينبغي اعتمادها لاستخراج سيرة رسول الله ﷺ؟

وما هي تلك المعايير والضوابط التي يجب أن نعتمد بها لتمييز النصوص الصحيحة من النصوص المزيفة؟

هناك عددٌ مصادر يمكننا أن نستخلص بالاعتماد عليها معالم شخصية النبي وتفاصيل حياته وسيرته وهي:

أولاً: القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم أعطى صورةً واضحةً ورائعةً عن شخصية النبي ﷺ وصفاته وخصائصه وموافقه في كثير من السور والآيات، ويستطيع قارئ القرآن بالتدبر التام في الآيات التي نزلت في شأن رسول الله ﷺ، أن يحيط بالكثير من جوانب شخصيته وحياته منذ أن بعثه الله وإلى أن فارق هذه الدنيا.

فقد أشار القرآن مثلاً إلى مكانة النبي ومنزلته وعظمته، في سورة الحجرات والنور والأحزاب وغيرها، وأشار إلى أسمائه وألقابه في سورة الصاف وآل عمران والمائدة، وإلى صفاته وخصائصه، كالعصمة والطهارة والرأفة والرحمة والعطف والشجاعة، في سورة آل عمران والتوبه والأحزاب والأنباء وغيرها، وأشار القرآن إلى أخلاق النبي وصبره وثباته في موقع التحدّي، وإلى طريقة تبليغه للرسالة، وإلى موافقه من عدم استجابة قومه لدعوته وغير ذلك مما يرتبط ب حياته وسيرته، في كثير من الآيات وال سور.

فالرجوع إلى نفس القرآن واستخراج سيرة النبي وصفاته وأفعاله من خلال ما عرضته الآيات يعتبر من أوثق وأصح الطرق والمصادر لدراسة شخصية النبي وتكوين صورة واضحة ونقيّة عن حياته وأخلاقه وعلاقاته وموافقه وقادته والتحديات التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله.

ثانياً: النصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهما السلام التي عرضت سيرة وحياة رسول الله، فإن هذه النصوص تعتبر بعد القرآن أهم المصادر التي نأخذ منها خصائص ومميّزات شخصية النبي وتفاصيل حياته، على اعتبار أن أهل البيت عليهما السلام أدرى بما فيه، وأنهم الأئمّة المعصومون الذين يحملون العلم الإلهي.. وعندهم علم الكتاب وعلم ما كان ويكون. وليس لأحد كائناً من كان أن يناقش فيما يُنقل بطريق صحيح عن علي بن أبي طالب عليهما السلام الذي لازم رسول الله ﷺ في جميع مراحل حياته، حيث كان يتبعه أتباع الفضيل أثرًأمه، ويراه في الأوقات التي لا يراه فيها غيره.

وقد ورد عن أئمّة أهل البيت عليهما السلام مئات بل آلاف النصوص والروايات التي تحدثت عن حياة رسول الله العامة والأحداث الكبرى التي عاشها في حياته، وعن سيرته الذاتية والخاصة.



وثالثاً: الروايات التاريخية المروية بالتواتر عن المسلمين الأوّلين، فالنصوص المروية عن الأئمّة من الصحابة الذين لا يميل بهم هوى عن جادة الحق، والتي تتحدّث عن سيرة النبي، تعتبر من مصادر السيرة والتاريخ إذا ثبتت صحتها بالتواتر أو بإحدى وسائل الإثبات الأخرى.

أما النصوص والروايات التاريخية الأخرى التي لم تروَ عن أئمّة أهل البيت عليهما السلام ولم تكن متواترة، فلا بدّ إذا أردنا تقييم هذه النصوص من أن نعتمد على ضوابط وقواعد نستطيع من خلالها تمييز النص الصحيح الذي يعكس الواقع التاريخي بصورة صادقة من النص المصنوع أو المحرف.

وأهم الضوابط والقواعد التي ينبغي اعتمادها في هذا المجال هي:

أولاً: دراسة أحوال وأوضاع الناقلين للحديث، فإنّ أول ما ينبغي ملاحظته في الحديث المنقول هو سنه، والسند: هو عبارة عن مجموع أسماء الأشخاص الذين نقلوا لنا الحديث أو الحدث التاريخي، فلا بدّ من دراسة أحوال وأوضاع هؤلاء الرواة لمعرفة ميلهم وارتباطهم السياسية والمصلحية، ولمعرفة مدى صدقهم ودققتهم فيما أخبرونا به، وبالتالي مدى إمكانية الوثوق والاعتماد على نقلهم.

وطبيعي أنّ من عُرف عنه أنه يكذب في خبره أو لا يدقق في قوله، فلا يمكن الاعتماد على حديثه، إلا بعد أن نتأكد من صحته من مصادر وجهات أخرى.

وكذلك من عُرف عنه أنه ينساق وراء أهوائه السياسية أو المذهبية أو المصلحية فإنه لا يمكن الأخذ بما ينقله لنا لأنّه يكون بذلك قد أخل بدرجة الوثوق والاطمئنان، أو إذا كان ما ينقله يمثل اعترافاً بأمر لا يرغب بالاعتراف به إلا حينما لا يجد مجالاً للتهرّب والتتّرك له.

وثانياً: أن يكون مضمون النص الذي يحكى لنا فعل وسلوك النبي منسجّماً مع صفات وخصائص الشخصية النبوية ومميزاتها، فإذا جاء النص منسجّماً ومتناسباً مع الوضع الطبيعي لشخصية رسول الله المثالية بما لها من خصائص ومميزات رسالية، فإنه يكون مقبولاً ونأخذ بمضمونه إذا توافت فيه سائر شروط القبول الأخرى.

فمثلاً: إذا ثبت لدينا بالدليل القطعي الصحيح أنّ شخصية النبي هي في أعلى درجات الطهر والعصمة والحكمة والشجاعة، وأنّه يتحلى بكلّ الصفات النبيلة والفضيلة جامعاً لكلّ القيم الإنسانية السامية، فلا بدّ من جعل كلّ ذلك معياراً وميزاناً لأيّ نص يُروى بشأنه ويريد أن يسجّل لنا قوله أو فعله أو تقريراً أو موقفاً له عليهما السلام.

إذا جاء النص منسجّماً مع هذه الخصائص والمميزات الثابتة بالدليل القطعي الصحيح فإنه يكون مقبولاً، وإنّما لا يمكن قبوله، كما لو نسب النص إلى العياذ بالله الرذيلة أو الفجور لرسول الله، أو عبادة الأصنام، أو التصرّفات التي تعبر عن جهله أو عدم اتزانه، فإنّا لا نتردد في رفض مثل هذا النص. فكما أننا لا يمكن



أن نقبل أن يكون مرجع ديني معروف بالورع والتقوى قد أَلْفَ أغنيةً أو لحنها للمغنية الفلانية مثلاً، فكذلك لا يمكن أن نقبل أن تُنسب إلى رسول الله ﷺ أو إلى أحدٍ من أئمة أهل البيت ع تصرفات هي بمستوى ذلك أو أقبح وأسوأ من ذلك.

وثلاثًا: عرض النصوص التاريخية وغيرها على القرآن الكريم بما وافق كتاب الله نأخذ به وما خالفه نتركه، وهذه قاعدة لا بدّ أن نعتمدها ليس في نصوص السيرة فحسب، بل في كل الأحاديث المنقوله عن النبي ﷺ أو عن أحد أئمة أهل البيت ع سواء أكانت تاریخاً أو فقهًا أو أخلاقاً أو غير ذلك.

فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "تَكْثُرُ لَكُمُ الْأَحَادِيثُ بَعْدِي، إِذَا رُوِيَ لَكُمْ عَنِّي حَدِيثٌ فَاعرْضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَاقْبِلُوهُ وَمَا خَالَفَ فَرْدُوهُ".

وعن الإمام الصادق ع أنه قال: "مَا لَمْ يَوْافِقْ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ".

رابعاً: عدم التناقض والتنافي بين النصوص، فإن وجود التناقض فيما بينها يشير إلى وجود نص مجعل، أو تعرّض النص لتصريف ما أزاله عن وجهته الصحيحة، الأمر الذي يستدعي مزيداً من الانتباه، وبذل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من المزيّف منها.

خامسًا: أن لا يخالف النص الواقع المحسوس، كما لو ادعى النص: أن أقرب طريق من مكة إلى المدينة يمر عبر الأندلس.

سادساً: أن لا يخالف البديهيّات والضرورات العقلية الثابتة، ومن ذلك قولهم: إن الله عادل وحكيم، ولكنّه يجبر عباده على أفعالهم، ثم يعاقبهم عليها. وقولهم: إنّه تعالى لا يحدُّه مكان ولا جهة، ثم يقولون إنّ له ساقاً وقدماً وأصابع وما إلى ذلك.

سابعاً: أن لا يخالف الحقائق العلمية الثابتة بالأدلة القطعية، كالنص الذي يقول: إن الأرض تقوم على قرن ثور.

ثامناً: أن لا يحمل النص تناقضًا مع ما هو ثابت تاريخياً بصورة قطعية، فإذا كان من الثابت أن الإسراء والمعراج قد حصل قبل الهجرة، وثبت أن عائشة إنما انتقلت إلى بيت رسول الله ﷺ بعد الهجرة، فلا يمكن بعد هذا تصديق النص الذي ينقل عن عائشة نفسها أنها قالت: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ في تلك الليلة؛ يعني ليلة الإسراء والمعراج.



تاسعاً: أن يكون النص الصادر عن رسول الله ﷺ أو أحد الأئمة المعصومين عليهما موالقاً للأحكام العقلية والفطرية السليمة، ومن ذلك حكم العقل بوجوب عصمة النبي ﷺ والإمام علیهم السلام عن الخطأ، فالنص الذي يريد أن ينسب إلى النبي ﷺ والإمام المعصوم علیهم السلام خطأ معيناً، لا تردد في رفضه ولا نشك في أنه من الأخبار المصطنة.



أختبر نفسك

١- لماذا ندرس سيرة النبي ﷺ وأهل بيته؟

٢- علّد المصادر التي يمكن الاعتماد عليها للتعرف على حياة النبي عليه السلام.

٣- ما هي أهم الضوابط والقواعد التي ينبغي الاعتماد عليها لتمحیص الروايات التاريخية؟

حال المجتمعات قبل الإسلام



درس اليوم



البداية الطبيعية للحديث عن رسول الله محمد بن عبد الله عليهما السلام تفرض علينا إعطاء لمحة عن تاريخ ما قبل البعثة وما اتصل بها من أحداث ووقائع، لتعرف على الظروف والأوضاع التي كانت تحكم المجتمعات العربية آنذاك والمنطقة التي انطلقت فيها دعوة النبي عليهما السلام إلى الإسلام.

وسوف نستعرض في هذا الدرس الظروف والأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في منطقة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي.

أولاً: الوضع الديني

على المستوى الديني كانت الوثنية هي الديانة الكبرى في شبه الجزيرة العربية وكانت عقيدة الشرك، وعبادة الأصنام متفشية بين سكان هذه المنطقة.

ويكفي أن نذكر أن عبادتهم كانت ملوثة باللون القبلي فلكل قبيلة، بل لكل بيت أحياناً وشن وطريقة في العبادة، وبالرغم من أن الكثيرين منهم كانوا يعتقدون بوجود الله وحالقيته، إلا أنهم كانوا يعتبرون أن عبادتهم للأصنام تقربهم إلى الله زلفى، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُ هُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

أضف إلى ذلك أنهم ما كانوا يعتقدون بالمعاد والحياة بعد الموت، وقد أشار القرآن إلى ذلك في كثير من الآيات.



هذه حال الوثنية، أمّا اليهوديّة والنصرانيّة فلم تستطعوا بسبب عملية التحريف الكبري التي تعرّضتا لها بعد موسي وعيسي عليهما أنّ تقدّما إنموزجاً إيجابياً بناءً للإنسان العربي، ولم تحدث في صفاته الذميمة وعاداته السيئة أي تغيير أو تبديل حتّى أنّ بعض النصارى من العرب كقبيلة تغلب لم يكونوا يعرفون من النصرانية إلّا شرب الخمر!

إلّا أنّ اليهوديّة والنصرانيّة ساهمتا مع ذلك في تحضير الإنسان العربي للفجر الجديد، وذلك بالتبشير بقرب ظهورنبي عربي، فكان اليهود يتوعّدون العرب الوثنيّين ويقولون لهم: "ليخرجنّنبي فيكسرنّأصنامكم"، وقد سمّي جماعة منهم أبناءهم (محمدًا) رجاءً أن يكون هو النبي المنتظر. كلّ ذلك هيّا الأجواء معنوّاً لتقبل ظهور النبي عليهما السلام، وبسبب وزن أهل الكتاب علمياً عند العرب في الجاهلية فقد اكتسبت هذه التّبؤات بعدها حقيقةً انعكس قبولاً للدعوة واستجابة لها.

ثانياً: الوضع السياسي

وأمّا على المستوى السياسي فإنّ سكّان شبه الجزيرة العربية آنذاك، لم يخضعوا لأيّ نظام أو سلطة مرکزية غير سلطة القبيلة.

وبسبب أنّ معظم سكّان هذه المنطقة كانوا من البدو الرّحل الذين يُمسون في مكان ويصبحون في آخر من جهة، وبسبب رفضهم لجميع أنواع التّسلط الذي يحدُّ من حرّيّة الأفراد والقبيلة من جهة ثانية، وبسبب بعض العوامل الاقتصاديّة نظراً لكون طبيعة المنطقة صحراويّة لا تصلح للزراعة والعمل، ولا تساعد على الاستقرار وتنظيم الحياة والإنتاج من جهة ثالثة، لأجل كلّ ذلك نجد أنّ هذه المنطقة بقيت بعيدةً عن سيطرة ونفوذ الدول الكبرى آنذاك كدولة الفرس ودولة الرومان، فلم تخضع المنطقة لحكم أي من الرومان والفرس والأحباش، ولم تتأثّر بمعاهمهم وأديانهم كثيراً.

ومن هنا فقد نشأت عن هذا الوضع ظاهرةُ الدوليات القبليّة، فكان لكلّ قبيلة حاكم، ولكلّ صاحب قوّة سلطان، ولم يكن يجمعهم نظام مرکزي واحد، أو سلطة سياسية مرکزية، وإنما كانوا يعيشون فراغاً سياسياً في هذا الجانب.

ثالثاً: الوضع الاجتماعي

أمّا الوضع الاجتماعي فإنّ الحياة الصعبة التي كان يعيشها الإنسان العربي في الbadية، والحكم القبلي،



وعدم وجود روادع دينية أو وجданية قوية، دفعت بالقبائل إلى ممارسة الحرب والاعتداء على بعضها البعض كوسيلة من وسائل تأمين العيش أحياناً، وأحياناً لفرض السيطرة، وأحياناً أخرى للثأر والاقتراض، فكانت تغير هذه القبيلة على تلك وتستولي على أموالها وتسببي نسائها وأطفالها وتقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها، ثم تعود القبيلة المنكوبة تترّبص بالقبيلة التي غلبتها وهكذا.

ولذلك فإنَّ من يطالع كتب التاريخ يرى بوضوح إلى أي حد كانت الحالة الاجتماعية متربِّدة في ذلك العصر، فالسلب والنهب والإغارة والتعصب القبلي كان من مميزات ذلك المجتمع، حتى إذا لم تجد القبيلة من تُغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها وحتى على أبناء عمّها.

وكان لأتفه الأسباب تحدث بينهم حروب طاحنة ومدمرة يذهب ضحيتهاآلاف الناس وتستمر لسنين طويلة. ولعلَّ من أبرز الأمثلة على ذلك ما عُرف "بحرب داحس والغراء" وهم فرسان يملكون أحددهما قيس بن زُهير ويملك الآخر حذيفة بن فزارة، فقد استبقا واحتللا حول الساقِق منهما، وقد أدّى احتلافهم بسبب هذا الأمر التافه إلى التنازع ونشوب الحرب بين قبيلتيهما حيث استمرَّت الحرب بينهما أربعين سنة من سنة ٥٦٨ م حتى سنة ٦٠٨ م.

وأفضل مرجع للتعرّف إلى ملامح الوضع الاجتماعي في العهد الجاهلي هو كلماتُ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التي يصف فيها حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ حيث يقول في بعض كلماته: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مُعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنْبَخِّونَ -أَيُّ مُقِيمُونَ- بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشنَّ وَحِيَّاتٍ صُمَّ، تَشْرَبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكِلُونَ الْجَشْبَ، وَتَسْفَكُونَ دَمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِي كُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ".

ويقول جعفر بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف الوضع الجاهلي لما دخل على النجاشي وقد سأله عن أحوالهم، قال: "كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهْلِيَّةٍ، نَبْدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطِعُ الْأَرْحَامَ، وَنَسِيَءُ الْجَوَارَ، وَنَأْكُلُ الْقَوِيَّ مِنَ الْمُضِيِّفِ".

رابعاً: الوضع الأخلاقي

وأمّا الوضع الأخلاقي العام فقد كانت القسوة والفاحشة وتعاطي الخمر والربا ووأد البنات والأبناء خشية العار والفقر هي السمات العامة للأخلاق المتفشية في المجتمع الجاهلي.

ويكفي أن نشير إلى بعض النماذج من العادات والتقاليد اللاأخلاقية التي كانت سائدة آنذاك لمعرفة مدى



شیوع الفاحشة وظاهره انعدام الغيرة والتخلل الأخلاقي في تلك المجتمعات.

فقد أشار النصّ الذي ذكرناه آنفًا عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أخيه جعفر عليهما السلام إلى بعض الموبقات التي كانت معروفة بينهم وإلى بعض حالاتهم وأوضاعهم السيئة. وقد أدان القرآن حياتهم الجاهلية ونعت عليهم كثيراً من حالاتها فأشار على سبيل المثال إلى أنّ الزواج من الحالة زوجة الأب كان من جملة سلوكيّات الجاهليّين البغيض، وقد أشار القرآن إلى تحريم هذا السلوك بقوله تعالى: (وَلَا تَنِكِحُوا مَا نَكَحَ إِبْرَأُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتَأً وَسَاءً سَيِّلًا).

وكانوا يُكرهون الجواري والإماء والخدم على البغاء والزنا من أجل كسب المال، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: (وَلَا تُكِرُّهُوْا فَتَيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحْصُنَا لِتَبَغُّوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

ويقال: إنّه كانت لعبد الله بن أبي (رئيس المنافقين) ست جوارٍ وكان يُكرههن على البغاء للحصول على المال.

ومن عاداتهم القبيحة أيضًا الطواف حول الكعبة وهم عراة سواء الرجال والنساء.

وكان الرجل إذا هدّه الإفلاس وشعر بأنه سيصاب بالفقر كان يبادر إلى قتل أولاده خوفاً من أن يراهم أذلاء جائعين، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أُولَئِكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ).

كما أثنا نستطيع معرفة مدى شیوع ظاهرة وأد البنات ودفنهن وهن أحياء من تعرض القرآن الكريم لهذه العادة، وإدانته لهذه الجريمة، وتعنيه لتلك المجتمعات على هذا السلوك الوحشي البشع، فقد قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيَّلَتْ ٨٥ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)، وقال أيضًا: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُثْنَيْنِ ظَلَّ وَجْهُهُ رُمْسَوْدًا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي الْتُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ).

هذه هي بعض أوضاع وأحوال المجتمع في شبه الجزيرة العربية آنذاك.

ومن قلب هذا المجتمع، ومن قلب هذا الجوّ القبلي المعقد والمشرد الذي توافرت فيه كل أنواع الفساد والبعد عن القيم والأخلاق، الذي يتطلب عملية تغيير شاملة، خرج رسول الله عليهما السلام ليكون قائد عملية التغيير هذه بالوحى الإلهي وبالرعاية الربانية وعلى أساس الحق والصدق والطهر، وقد استطاع الرسول عليهما السلام في فترة وجيزة جدًا أن ينقل هذه الأمة من حضيض الذل والمهانة إلى أوج العظمة والعزّة والكرامة، وأن يغرس فيها شجرة



الإيمان التي من شأنها أن تغير فيها كل عاداتها ومفاهيمها الجاهلية وأن تقضي على كل أسباب شقائصها وآلامها.

لقد استطاع الإسلام في فترة لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أن يحقق أعظم إنجاز في منطقة كانت لها تلك الصفات والمميزات، وأن يحدث انقلاباً حقيقياً وجذرياً في عقلية وموافق وسلوك وأخلاق تلك الأمة وفي مفاهيمها، وأن ينقلها من العدم إلى الوجود، ومن الموت إلى الحياة.

وقد عَبَرَ عن ذلك جعفر بن أبي طالب حَفَظَهُ اللَّهُ لملك الجبعة بعدما بَيْنَ له الأوضاع المتردِّية التي كانوا يعيشونها قبل بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: .. فَكَنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْنَا، نَعْرُفُ نَسْبَهُ وَصَدَقَةُ وَأَمَانَتُهُ وَعَفَافُهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لَنُوحَدُهُ وَنُعْبُدُهُ، وَنَخْلُعُ مَا كَنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآباؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأُوْثَانِ، وَأَمَرْنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَصَلَةِ الْجَوَارِ، وَحَسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمُحَارَمِ وَالدَّمَاءِ، وَنَهَا نَاهَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقُولِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتَمِ وَقُذْفِ الْمَحْصَنَةِ ..".



أختبر نفسك

- ١- في ضوء ما درست عدد الظروف والأوضاع التي كانت سائدة في منطقة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي مع شرح واحدة منها.

- ٢- بين بالتفصيل واقع الوضع الديني لسكان شبه الجزيرة العربية بالعصر الجاهلي.

- ٣- صفات حال العرب قبل الإسلام من:
أ- الناحية السياسية
ب- الناحية الاجتماعية



نشأة النبي وطفولته

نشأة النبي وطفولته



درس اليوم



نسب النبي

يعود نسب النبي ﷺ إلى هاشم بن عبد مناف الذي تنتسب إليه أشرف أسرة في مكة هي أسرة بنى هاشم.

فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، المنحدر من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

ولدته أمّه آمنة بنت وهب في مكّة المكرمة في منزل أبيه عبد الله بن عبد المطلب في شعب أبي طالب يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول في عام الفيل الموافق لسنة 571 للميلاد.

رضاعة

لم يرتفع من أمّه سوى ثلاثة أيام، ثم حظيت بشرف إرضاعه حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب من بنى سعد.

فقد رأى عبد المطلب أن يرسل حفيده إلى الباذية ليكمل رضاعه هناك، وينشأ ويتربّ في الباذية، ليكتسب اللغة الصحيحة، والقوّة والمعانعة.

وكان حليمة ترعاه هي وزوجها وتقدّمه حتى على أولادها، وقد وجدت فيه كلّ الخير والبركة، وقد روی عنها أنها قالت: "قدمنا منازل بنى سعد ومعي يتيم عبد المطلب، ولا أعلم أرضاً أجمل من أرضنا، فكانت



غمي تجيء حيث حلّ محمدٌ فينا جياعاً فنحلب منها ونشرب ويتدفق الخير علينا، وأصبح جميع من في الحي يتنى ذلك اليتيم الذي يسرّ لنا الله ببركته الخير ودفع عننا الفقر والباء".

بقي النبي ﷺ مع حليمة إلى أنْ بلغ سنَ الخامسة، فعادت به إلى أهلها ليكون في كفالة جده عبد المطلب ثم في رعاية عمّه أبي طالب.

النبي في كفالة جده

فقد النبي ﷺ أمّه بعد عودته مِنْ حِي بني سعد وله مِنَ الْعُمُر ستَّ سِنِينَ على أشهر الروايات، وأصبح بذلك يتيم الأبوين، فعاش في كفالة جده عبد المطلب، الذي كان يرعاه خير رعاية، ولا يأكل طعاماً إلَّا إذا حضر، وكان يفضلُه على سائر أبنائه.

ويبدو أنَّ عبد المطلب كان عارفاً بنبوة محمدٍ وما سيكون من أمره و شأنه من خلال أمرين:

أولاً: من الصفات والملامح التي كانت تظهر على النبي ﷺ، والبركات والأحداث التي رافقته منذ ولادته وفي أحضان أمّه ومرضعته.

وثانياً: من البشائر والأخبار التي كانت تُنبئ بمستقبله ونبوته.

إنَّ هذا النوع من المؤشرات والدلائل رسخت في نفس عبد المطلب الاعتقاد بنبوة حفيده وجعلت له مكانة خاصةٌ عندَه، بحيث كان يعطيه مِنَ الْحُبِّ والعطف والحنان والاهتمام ما لم يعطه لأحدٍ غيره، إلَّا أنَّ هذا الحنان الدافق وهذه الرعاية الكريمة لم تدم له طويلاً، فقد توفي عبد المطلب والنبي ﷺ في الثامنة من عمره، فانتقل بعده إلى دار عمّه أبي طالب.

النبي في رعاية أبي طالب

قبل أن تواتي المنية عبد المطلب كان قد جمع أولاده العشرة وأوصاهم بابن أخيهم محمدٍ ﷺ ولمح لهم بما سيكون من شأنه في المستقبل، ومما قاله لهم: "إني قد خللت لكم الشرف العظيم الذي تطاؤن به رقاب الناس" على حد تعبير المؤرخ اليعقوبي.

وقد اختار عبد المطلب مِنْ بين أبنائه أبا طالب ليكون هو من يكفل محمداً بعده ويقوم برعايته، وذلك

لسبعين:



الأول: إنّ أبا طالب كان أخاً لوالد النبي ﷺ من أمّه، فإنّ أمّهما هي فاطمة بنت عائذ المخزوميَّة، وطبيعي أن يكون أبو طالب أكثر حناناً وعطفاً وحباً لابن أخيه من أبيه وأمه من بقية إخوانه كالحارث والعباس وغيرهما الذين كانوا من أمهات شتي.

الثاني: إنّ أبا طالب كان أبل إخوته وأكرمهم، وأعظمهم مكانة في قريش، وأجلُّهم قدرًا، وقد ورث زعامة أبيه عبد المطلب، وخضع لزعامته القريب والبعيد بالرغم من فقره.

وقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: "إن أبي ساد الناس فقيرًا، وما ساد فقير قبله".

وقد قام أبو طالب برعاية النبي خير رعاية، وأدى الأمانة، وحفظ الوصية، وبقي محمد ﷺ شغله الشاغل الذي شغله هو وزوجته فاطمة بنت أسد حتى عن أولادهما في أشد المراحل ضيقاً وحرجاً حتى النفس الأخير من حياتهما.

ولم يكن يعني أبا طالب شيء كما تعنيه رعاية النبي محمد ﷺ والمحافظة عليه. وقد بلغ من عنايته به وحرصه عليه أنه كان إذا اضطر إلى السفر لخارج مكّة أو الحجّاز أخرجه معه.



أختبار نفسي

١- في أي عام ولد النبي محمد ﷺ ؟

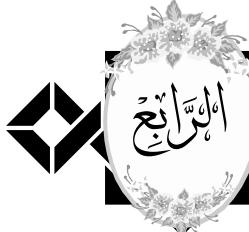
٢- ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام العبارات التالية:

() ١- تربى النبي ﷺ في أيامه الأولى في حيبني ساعدة.

() ٢- انتقلت كفالت النبي ﷺ إلى جده وهو ابن ٧ سنوات.

() ٣- أبو طالب هو من كفل النبي ﷺ بعد وفاه أمّه.

٣- ما سبب اختيار عبد المطلب من بين أبنائه أبا طالب ليكون هو من يكفل محمداً ﷺ بعده ويقوم برعايته؟



في عنفوان الشباب

في عنفوان الشباب



درس اليوم



الزواج من خديجة

يذكر المؤرخون أنَّ النبي ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد زوجته الأولى بعد عودته من رحلته الثانية إلى الشام، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف، وهناك أقوال أخرى تفيد أنَّ عمره كان أكثر من ذلك بعده سنتان أي في سنٍ ٣٠ أو ٣٧ سنة.

ونكاد نقطع بسبب كثرة النصوص على أنَّ خديجة هي التي بادرت أولاً وأبدت رغبتها في الزواج من محمد ﷺ بعدما رأت فيه من الصفات النبيلة ما لم تره في غيره.

ويرجح كثير من المؤرخين أنَّ يكون عمُر خديجة حين زواج النبي بها ثمانية وعشرين عاماً وليس أكثر من ذلك.

كما أنها لم تتزوج قبله بأحدٍ قط، وأمّا النصوص التي تفيد أنها تزوجت قبله برجلين هما: عتيق بن عائذ المخزومي، ثم أبو هالة التميمي، فإنه من المحتمل جداً أن تكون هذه النصوص مما صنعته يد السياسة بهدف الإيحاء بأنَّ النبي ﷺ لم يتزوج امرأة عذراء غير عائشة.

مهنته ﷺ قبلبعثة

يتحدث المؤرخون عن الأعمال التي كان يقوم بها النبي قبل البعثة لتأمين العيش وكسب الرزق، فيذكرون أنَّ النبي ﷺ كان يرعى الغنم في مرحلة الصبا ومطلع الشباب، كما أنه عمل في التجارة الخارجية مع خديجة عندما أصبح شاباً في عمر الخامسة والعشرين.



ولا بد أن تتحدث عن هذین الأمرين، رعي الغنم، ومزاولة التجارة، لمعرفة ما إذا كان النبي ﷺ قد تعاطى هذا النوع من الأعمال في حياته أم لا.

أمّا الأمر الأول: وهو رعي الغنم، فإنّ لنا أن نتساءل هل حقاً إن النبي ﷺ عمل في الرعي أم لا؟
الحقيقة أنه لا بد في هذا المجال من أن نفرق بين أمرين: بين أن يكون النبي ﷺ قد رعى الأغنام لأهله، وبين أن يكون قد اتّخذ الرعي مهنة وعملاً له بحيث كان أجيراً لأهل مكة يرعى لهم الأغنام مقابل أجرٍ معين يحصل عليه منهم.

فالأمر الأوّل نقبله ولا إشكال فيه، وهو أن يكون النبي ﷺ قد رعى الغنم لأهله، لأنّ رعي الغنم آنذاك كان عملاً عادياً، فلا مانع من أن يكون النبي ﷺ قد قام به كغيره من أبناء مجتمعه الذين كانت المواشي عندهم من الوسائل العاديّة الموجودة في كلّ بيت من أجل العيش وكسب الرزق.

وليس هناك أيّ عيب أو نقص في أن يقوم الإنسان بالعمل والكدح في سبيل تأمّن العيش الكريم، والعمل في سبيل العيش من سنّ الأنبياء والمرسلين ﷺ، وقد عاش الكثيرون من الأنبياء ﷺ من عمل أيديهم وعرق جبينهم، وأتقنوا بعض المهن والأعمال الشريفة حتى لا يكونوا عبئاً على أحدٍ من الناس، وقد أوصى الإسلام بالعمل للدنيا والآخرة، وأكّد عليه، ورَغَبَ به، وندد بالكسالى والتنابيل الذين يحرّرون الأعمال الصغيرة الشريفة ويرفضونها ليتحولوا إلى عبءٍ على المجتمع بسبب بطالتهم.

إذن فلا مانع أن يكون النبي ﷺ قد رعى الغنم لأهله وعشيرته.

وما نرفضه هو الأمر الثاني، وهو أن يكون النبي ﷺ قد عمل أجيراً في رعي الغنم لأهل مكة أو لغيرهم.
والذي يدعونا إلى هذا الشكّ أمران:

أولاً: إن الروايات الواردة في رعيه للغنم مختلفة ومتناقضه، فبعضها يقول: إنه رعى لأهله، وبعضها يقول: لأهل مكة، وبعضها يقول: بالقراريط -أي بأجر زهيد- والبعض الآخر أبدلت فيه الكلمة بالقراريط بكلمة بأجیاد التي هي اسم مكان في مكة، ومن الواضح أنّ مثل هذا الاختلاف غير مقبول إذا كان الراوي واحداً، ويكون من دواعي الشكّ في الرواية.

وثانياً: إن العقوبي وهو المؤرخ المعروف بدقةه وتنبّه في الأمور التاريخية، قد نصّ على أنّ النبي ﷺ لم يكن أجيراً لأحد قط، وهذا يعني أنه ﷺ لم يكن أجيراً لأهل مكة ولا لغيرهم ولا لأحدٍ حتّى لخدية نفسها.



وأما الأمر الثاني، وهو عمل النبي ﷺ بالتجارة فيذكر المؤرخون: أن النبي ﷺ عمل بالتجارة مع خديجة بنت خويلد قبل الزواج منها وقد سافر إلى الشام لهذه الغاية كما تقدّم.

والشيء الذي لا بدّ من التأكيد عليه هنا، أنَّ تجارة النبي مع خديجة كانت على نحو المضاربة والمشاركة، ولم تكن على نحو الإجارة، فلم يكن النبي أجيراً أو موظفاً عند خديجة يأخذ بدل ما يقدمه من أتعاب، وإنما كان شريكاً لها في تجارتها وله نسبة في الأرباح.

وكذلك فإنَّ ما ورد في بعض النصوص من أنَّ خديجة استأجرته في تجارتها لا يمكن المساعدة عليه، ولا تؤيّده الشواهد، بل الشواهد التاريخية على خلافه، وذلك لسبب بسيط هو ما ذكره اليعقوبي من أنَّ النبي لم يكن أجيراً لأحدٍ قط.

حلف الفضول

بعد سلسلة من حوادث الاعتداء على أموال وأعراض بعض الوافدين إلى مكة في موسم الحج للزيارة أو التجارة، دعا الزبير بن عبد المطلب إلى إقامة تحالف بين قبائل قريش بهدف: مواجهة كلَّ من يعتدي على الآخرين، ووضع حدّ لغطرسة بعض المكينين الذين كانوا يعتمدون الإساءة ويقومون بالاعتداء على الزائرين.

فاستجاب لدعوه بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد وغيرهم، وعقدوا اجتماعاً في دار عبد الله بن جدعان تحالفوا فيه على محاربة الظلم والفساد والانتصار للمظلوم والدفاع عن الحق، وكان هذا التحالف أشرف تحالف يعقد في الجاهلية وقد سمّي بحلف الفضول، لأنَّ قريشاً قالت بعد إبرامه: هذا فضول من الحلف، وقيل: لأنَّ ثلاثة ممّن اشتراكوا فيه كانوا يُعرفون باسم الفضل، وهم: الفضل بن مشاعة، والفضل بن بضاعة، والفضل بن قضاعة، فسمّي بذلك تغليباً لأسماء هؤلاء.

تبني أبو طالب وغيره من القرشيين الحلف المذكور، وقد حضره النبي ﷺ وشارك فيه وكان يتجاوز العشرين من عمره الشريف، وأثنى عليه بعد نبوّته وأمضاه، فقد رُويَ أنه قال ﷺ: "لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرّتي به حمر النعم، ولو دعيت إلى مثله لأجبت".

إنَّ نظرةً تحليليةً بسيطة على هذا الحلف تقودنا إلى تسجيل الأمور التالية:

أولاًً: إنَّ ثناء النبي ﷺ على هذا الحلف، ومشاركته فيه، وإمضاه له، يدلّ على أنَّ هذا الحلف ينسجم في أهدافه مع أهداف الإسلام، لأنَّه قائم على أساس الحق والعدل والخير.



ثانيًا: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُمْتَدِحُ هَذَا الْحَلْفُ وَيُشَيِّعُ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ الَّذِينَ قَامُوا بِهِ كَانُوا وَقْتَهُمْ عَلَى الشَّرِكِ وَالْكُفْرِ، وَلَكِنَّهُ يَهْدِمُ مَسْجِدَ الْضَّرَارِ مَعَ أَنَّ الَّذِينَ بَنُوا كَانُوا وَقْتَهُمْ يَتَظَاهِرُونَ بِالإِسْلَامِ وَيَتَعَامِلُونَ عَلَى أَسَاسِهِ بِحَسْبِ الظَّاهِرِ.

وَهَذَا يُؤَكِّدُ وَاقْعِيَّةُ الإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْظَرُ إِلَى مَضْمُونِ الْعَمَلِ وَقِيمَتِهِ وَلَيْسَ إِلَى شَكْلِهِ وَصُورَتِهِ، فَالإِسْلَامُ لَا يَغْتَرُ بِالْمُظَاهِرِ، وَلَا تَخْدِعُهُ الشَّعَارَاتُ مَهْمَا كَانَتْ بِرَّاقَةً إِذَا كَانَتْ تَخْفِي وَرَاءَهَا الْوَصْوَلِيَّةُ وَالْخِيَانَةُ وَالتَّآمِرُ، فَالْحَقُّ حَقُّ، وَمَقْبُولٌ، وَلَا بَدَّ مِنَ الْالْتِزَامِ بِهِ وَالْتَّعَامِلُ عَلَى أَسَاسِهِ، وَلَوْ صَدَرَ مِنْ مُشْرِكٍ، وَالْبَاطِلُ بَاطِلٌ، وَمَرْفُوضٌ، وَلَا يَجُوزُ الْالْتِزَامُ بِهِ وَلَا التَّعَامِلُ مَعَهُ مَهْمَا كَانَتْ شَعَارَاتُهُ وَعَنَاوِينُهُ بِرَّاقَةً وَمَغْرِيَّةً.

ثالثًا: إِنَّ اهْتِمَامَ النَّبِيِّ ﷺ بِحَلْفِ الْفَضُولِ إِنَّمَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الإِسْلَامَ لَيْسَ مَنْغَلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَسْتَجِيبُ لِكُلِّ عَمَلٍ إِيجَابِيٍّ فِيهِ خَيْرُ الْإِنْسَانِ، وَيُشارِكُ فِيهِ عَلَى أَعْلَى الْمُسْتَوَىَّتَيْنِ، انْطَلَاقًا مِنَ الشُّعُورِ بِالْمَسْؤُلِيَّةِ، وَانْسِجَامًا مَعَ أَهْدَافِهِ الْكَبِيرِيَّةِ، وَمَعَ الْمُقْتَضَيَّاتِ الْفَطَرِيَّةِ وَالْعُقْلِ الْسَّلِيمِ.

رابعًا: إِنَّ مَوْقِفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَذَا الْحَلْفِ لَيْسَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ تَحْرِيكِ الْمَشَاعِرِ وَإِيقَاظِ الْضَّمَائِرِ لِلتَّحَالُفِ وَالتَّكَتُّلِ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ، وَالْتَّعَاوِنِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ، وَخَاصَّةً إِذَا انْحرَفَ الْحَاكِمُ وَاتَّبَعَ أَهْوَاءَهُ وَاسْتَغْلَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَخِيرَاتَ الْبَلَادِ وَالْعِبَادَ لِمَصَالِحِهِ وَأَطْمَاعِهِ الْذَّاتِيَّةِ.

تجديد بناء الكعبة

أَوْلَى مَنْ بَنَى الْكَعْبَةَ آدَمُ عَلِيِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ انْهَمَ الْبَنَاءُ فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلِيِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ قَوَاعِدَهُ مِنْ جَدِيدٍ وَأَبْيَانٍ أَعْلَمَهُ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ لِيَكُونَ مِرْكَزاً لِلتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِزَوْجِهِ هَاجِرَ وَوْلَدَهِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى أَرْضِ مَكَةَ.

وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ أَكْبَرُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ بَنَاءَ الْكَعْبَةِ تَضَمَّنَ حِجْرًا أَسْوَدًا قِيلَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَخْذَهُ مِنْ جَبَلِ أَبِي قَبِيسِ فِي مَكَّةَ وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ نَزَلَ بِهِ جَبَرِئِيلُ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَقَدْ ظَلَّتِ الْكَعْبَةُ، مَعْبُدًا لِلْعَرَبِ عَلَى مِرَّ السَّنَنِ يَحْجَجُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَاهِدُونَهَا بِالْبَنَاءِ وَالْتَّرْمِيمِ كُلُّمَا دَعَتِ الْحَاجَةَ.



وقيل أنها تهدمت بعد أن مرت عليها القرون الطويلة، فأعاد العمالقة بناءها ثم تهدمت بعد ذلك، فبنتها جرهم وأصبحت في ولايتهم.

ويقول بعض المؤرخين: إن جرهم بعث واستحلت المحارم فأبادها الله، وانتقلت ولاية الكعبة من بعدها إلى خزانة، ثم من بعدهم إلى قريش.

في أثناء ولاية قريش عليها وقبل النبوة بخمس سنوات أو أكثر تم هدمها وتجديد بنائها. ويذكر اليعقوبي روايتين في سبب ذلك:

الأولى: إنها تصدعت من آثار السيول.

الثانية: إن امرأة كانت تبخرها فتطايرت شراراة إلى ثوب الكعبة فاحتراق، واحترق بابها والأخشاب التي كانت بها. وإثر ذلك اجتمع قريش وقررت هدمها وتجديد بنائها ورصدوا لذلك نفقة طيبة، ليس فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة مما أخذوه غصباً، أو قطعوا به رحماً، أو انتهكوا فيه حرمة وذمة.

ويقول المؤرخون: إن قريشاً وزعّت الهدم والبناء على القبائل، فكان لكل قبيلة جهة معينة، وكان الوليد بن المغيرة أول من بادر إلى هدمها بعد أن تهيّب غيره من فعل ذلك.

وهكذا بدأت كل قبيلة تجمع الحجارة وتبني الجهة المعينة لها حسب الخطة. ويقال: إن النبي ﷺ شارك في جمع الحجارة.

ولمّا بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلّفوا فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، وأصبحت كل قبيلة تريد هي أن تناول شرف رفعه إلى موضعه، لأنّهم كانوا يرؤون أنّ من يضع الحجر في مكانه تكون له السيادة والزعامة.

وكاد الأمر يؤدي بهم إلى فتنة كبيرة حيث استعدوا للقتال، وانضم كل حليف إلى حليفه، حتى أن بعض القبائل تحالفوا على الموت وغمسو أيديهم في الدم فسموا لعنة الدم.

ولما وصلوا إلى هذا الحدّ الخطير اقترح عليهم أبو أمية بن المغيرة والد أم سلمة زوجة النبي ﷺ أن يحكّموا في هذا النزاع أول داخل عليهم، فكان محمد بن عبد الله ﷺ أول الوافدين، فلما رأوه استبشروا بقدومه وقالوا: لقد جاءكم الصادق الأمين، أو هذا الأمين قد رضينا به حكمًا.

فطلب منهم النبي ﷺ أن يحضروا له ثوباً فأتوا له ثوباً فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده، ثم التفت إلى شيوخهم وقال: "لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب ثم ارفعوه جميعاً"، فاستحسنوا ذلك ووجدوا فيه حلاً يحفظ حقوق الجميع، ولا يعطي لأحد امتيازاً على الآخر، ففعلوا ما أمرهم به، فلما أصبح الحجر بمحاذة الموضع المخصص له، أخذه رسول الله ﷺ بيده الكريمة ووضعه مكانه.



إنَّ التأمل في وقائع هذه الحادثة يجعلنا نخلص إلى النتائج التالية:

الأولى: إنَّ اشتراط قريش أنَّ تكون نفقة الكعبة طيبة لا ربا ولا غصب فيها ولا مظلمة لأحد... إنَّ دلَّ على شيء وإنما يدلُّ على شعور حقيقي بقبح هذه الأمور وعدم رضا الله والوجدان بها، وقد يفسِّر ذلك أيضًا باقتضاء الفطرة لذلك، وحكم العقل بقبحه.

الثانية: إنَّ ما تقدَّم يدلُّ على أنَّ أهل مكَّةً كانوا يتعاملون بالمنطق القبلي حتى في تعاونهم على بناء البيت وحمل الحجارة له، وهو أقدس مقدَّساتهم ورمز عزهم ومجدهم وكرامتهم، بل وعليه تقوم حياتهم، وإنَّ تحالف لعنة الدم حينما اختلفوا فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، يعتبر الذروة في هذا المنطق الجاهلي الذي يأبه الوعي الإنساني وتتبُّو عنه الفطرة، ويرفضه العقل السليم.

الثالثة: إنَّ فرح قريش حينما رأوا النبي ﷺ أول داخلاً عليهم، ثمَّ وصفهم له بأنه "الصادق الأمين" يكشف عن المكانة الاجتماعية الخاصة التي كان يحتلُّها النبي ﷺ في نفوس الناس في مكَّةً، حتى أنَّهم كانوا يحكِّمونه في كثير مما كان يقع الخلاف فيه بينهم، ويضعون كلَّ ثقتهم به، وبعقله ووعيه وحكمته.



أختبر نفسك

١- ما هي أهم الأحداث التاريخية التي مررت في حياة النبي ﷺ وهو بعنفوان الشاب؟

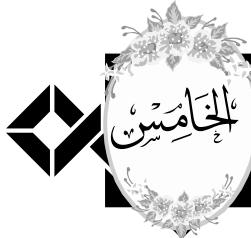
٢- كم كان عمر النبي ﷺ عندما تزوج من سيدتنا خديجة ؟

٣- ما هو حلف الفضول؟ ولماذا شارك فيه رسول الله ﷺ؟

٤- اذكر بيايجاز حادثة تجديد بناء الكعبة مبيّنًا دور رسول الله ﷺ فيها.



بعثة النبوة



درس اليوم

فی غار حراء

يقع جبل حراء في شمال مكة، ويستغرق الصعود إليه مدة نصف ساعة، ويتكون من قطع صخرية لا أثر للحياة فيها. أما الغار فيقع في شمال الجبل، وهو يحكي ذكريات رجل طالما تردد عليه وقضى الساعات والأيام والأشهر في رحابه، يتبعّد الله ويتأمل في الكون وفي آثار قدرة الله وعظمته، إذ أن النبي ﷺ كان يفگر في أمرتين، قبل أن يبلغ مقام النبوة:

١- ملکوت السماوات والأرض، فيرى في ملامح كلّ من الكائنات نور الخالق العظيم وقدرته وعظمته، فتفتح عليه نوافذ مِن الغيب تحمل إلى قلبه وعقله النور الإلهي المقدّس.

٢- المسؤولية الثقيلة التي ستوضع على كاهله، فكان يفكر في فساد حياة المجتمع المكي، وكيفية رفع كل ذلك وإصلاحه.

وتفيد الروايات أنَّ أول آيات قرأتها جبرائيل على النبي ﷺ هي قوله تعالى في سورة العلق:

() عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمُ.

بعد تلقين ذلك البيان الإلهي، عاد النبي عليه السلام إلى أهله مستبشرًا مسروراً بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة، مطمئناً إلى المهمة التي شرفه الله بها، فلم يكن خائفاً أو مروعًا مما جرى له، بل كان عالماً بنبوة نفسه، وكان ينتظر اللحظة التي يأتيه فيها جبرئيل ليعلن نبوته ورسالته، فلما دخل على خديجة رضي الله عنها أخبرها بما أنزله الله عليه وما سمعه من جبرئيل فقالت له: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، وأبشر فإنك رسول الله حقاً.



وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله فيما يأته من قبل الله أن يكون مما ينزع به الشيطان؟

فقال عليه السلام: إن الله إذا اتَّخَذَ عَبْدًا رَسُولًا أَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ، فَكَانَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ مِثْلُ الَّذِي يَرَاهُ بَعْيَنِهِ.

وسُئل عليه السلام: كيف علمت الرسل أنها رسائل؟ قال: "كشف عنهم الغطاء".

وقال العالمة الطبرسي في مقتنيات: إن الله لا يوحى إلا بالبراهين النيرة، والآيات البينة، الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفرغ ولا يفرق.

أول من أسلم

بدأ انتشار الإسلام تدريجياً، وكان هناك سابقون كما كان هناك لاحقون، وعُدَّ السابق إلى الإيمان برسول الله عليه السلام في صدر الإسلام، معياراً للفضل، ولذا كان لا بد من التعرف على هؤلاء السابقين. ومن المسلمين، أنَّ السيدة خديجة بنت خويلد كانت أول امرأة آمنت به فلم يختلف في هذا أحد وخاصة أن النبي عليه السلام أكد بنفسه ذلك في قوله: "آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتنِي إذ كذبَنِي الناس"، فهي أول من التقته بعد نزول الوحي عليه في الغار، فآمنت به وصدقته.

لقد اتفق المؤرخون على أن علياً عليه السلام أول الناس إسلاماً ولكنهم اختلفوا في سنة يوم إسلامه، فقيل إنه كان في الخامسة عشرة من عمره، وقيل أكثر من ذلك وبعضهم قال أن عمره الشريف يوم إسلامه كان يتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة، حيث قال: إنه ولد بعد مولد النبي عليه السلام بثلاثين عاماً، وبما أن مبعث النبي يتراوح بين الأربعين من عمره والثلاثة والأربعين حسب اختلاف الروايات في ذلك فيكون عمره يتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة.

ويؤكد الإمام علي عليه السلام موقفه بقوله: "اللهم إني أول من أتاب وسمع وأجاب، ولم يسبقني إلا رسول الله بالصلوة".

كما أن النبي عليه السلام أكد ذلك أيضاً في أحاديثه المتكررة: "أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب. ومن أقوال الإمام علي عليه السلام في ذلك، يذكر حكيم مولى زاذان إنه قال سمعت علياً عليه السلام يقول: "صليت قبل الناس سبع



سنين، وَكَنَّا نسجد ولا نركع، وأوْل صلاة رَكَعْنا فيها صلاة العصر، وَقَال أَيْضًا: "بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ وَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْثَلَاثَاء".

وَقَدْ أَكَّدَ هَذَا الموقف أَكْثَرَ مِنْ سَتِينَ صَحَابِيًّا وَتَابِعِيًّا أَيَّدُوا القَوْلَ الَّذِي يَذَكُرُ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَانَ أَوْلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا.

المرحلة الأولى بالدعوة (الدعوة السرية)

مِنْذَ أَنْ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْذَ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ سَرًّا مَدَّةً ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ، عَمِدَ فِيهَا إِلَى بَنَاءِ الْكَوَادِرِ وَإِعْدَادِهَا مِنْ أَفْرَادِ مُحَمَّدَيْنَ، كَانُوا السَّبَبُ فِي أَنْ يَنْجُذِبُ إِلَى الدِّينِ الْجَدِيدِ جَمَاعَةً آخَرُونَ تَقَبَّلَتْ دُعَوَتِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ مَعَ بَعْضِ أَتَبَاعِهِ إِلَى شَعَابِ مَكَّةَ لِلصَّلَاةِ فِيهَا بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ قُرَيْشًا، إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ مِنْهُمْ رَأَوْهُمْ يَصْلُوُنَّ، فَحَدَثَ نِزَاعٌ قَصِيرٌ بَيْنَ الْطَّرَفَيْنِ حِينَ اسْتَنَكَرُوا فَعَلَهُمْ، وَهُوَ مَا جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَرُ اتِّخَادَ بَيْتِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبْيِ الْأَرْقَمِ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ حِينَ أَمِنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَدُّهُ أَخْرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ رَكَّزَ الرَّسُولُ ﷺ جَهَدَهُ فِي الدِّعَوَةِ السَّرِيَّةِ، دُونَ عَجْلَةٍ أَوْ تَسْرِعٍ، يَعْرُضُ فِيهَا دِينَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَجَدَهُ أَهْلًا لِتَقْبُلِ الْمَبَادِئِ السَّامِيَّةِ لِلَّدِينِ الْحَنِيفِ.

وَلَا رِيبُ أَنْ حِكْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَوَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَدِعَوَةِ الْأَفْرَادِ بِصُورَةِ هَادِئَةٍ خَلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْأُولَى، لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الْخُوفِ عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ خَوْفًا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الدِّعَوَةِ مِنْ أَيِّ نَشَاطٍ إِرْهَابِيٍّ يَقْضِيُ عَلَيْهَا وَهِيَ لَمَّا تَكَتمَلَ بَعْدِ وَلَمْ تَرْسُخْ لَكِي تَصْمِدَ أَمَامَ أَيِّ مَعَارِضَةٍ أَوْ مَوَاجِهَةٍ سَافِرَةٍ، قَدْ يَتَهَدَّدُهَا بِالْفَنَاءِ.

فَكَانَتْ نَتْيَاجَةُ هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي اتَّبَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي دُعَوَتِهِ أَمْرِينَ:

الْأُولُ: عَدَمْ تَعْرِيْضِ الطَّلِيعَةِ الْمُؤْمِنَةِ، لَأَيِّ عَمَلٍ إِرْهَابِيٍّ يَشَّلُّ الْحَرْكَةَ وَيَفْكِكُ ارْتِبَاطَهَا وَمِنْ ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الشَّرْذَمِ وَالضِيَاعِ.

الثَّانِي: تَوْفِيرُ العَدْدِ الْكَافِيِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّسَالَةِ، لَكِي تَتَحَمَّلْ مَسْؤُلِيَّاتُهَا فِي التَّغْيِيرِ الْإِسْلَامِيِّ بِجَدَارَةٍ وَإِيمَانٍ.

وَلِذَلِكَ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْجَلَةَ، كَانَتْ بِمَثَابَةِ إِعْدَادِ نَفْسِيٍّ وَتَرْبِيَةِ عَقِيدَيْهِ وَرُوحِيَّهِ وَجَهَادِيَّهِ لِتَلْكَ الصَّفَوَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ لَا بَدَّ مِنْهَا لِيَتَسَنَّى لِلنَّبِيِّ ﷺ الْقِيَامُ بِمَثَلِ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ الَّتِي تُمْكِنُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّمْدَدِ فِي وَجْهِ التَّحْديَاتِ الَّتِي تَنْتَظِرُهُمْ.



وقد جمع النبي ﷺ في السنوات الثلاث الأولى أربعين شخصاً، لم يكن فيهم كفاية لأن يصبحوا قوّة دفاعيّة لحماية النبي ﷺ ورسالته، مما جعله يسعى إلى دعوة أقربائه، فكسر بذلك جدار الصمت بالشروع في دعوة الأقربين ثم الناس أجمعين والتي سوف نناقشها في الدرس المُقبل إن شاء الله تعالى.



أختبر نفسك

١- أن يقع غار حراء؟ وما هو سر تأمل النبي عليه السلام فيه قبلبعثة؟

٢- مَنْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

٣- لماذا لم يجهر الرسول عليه السلام بدعوته منذ البداية؟



الدعاة الجهريّة

الدعاة الجهريّة



درس اليوم



تحدثنا في الدرس السابق عن المرحلة الأولى للدعوة، وهي المرحلة السرية التي بدأها النبي ﷺ مع آحاد من الناس، وفي هذا الدرس ستتعرف على المرحلة الثانية من الدعوة؛ فإليها.

المرحلة الثانية (الدعوة العامة)

وفي هذه المرحلة استجابة للرسول ﷺ قوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وقوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)، وببدأ بتنفيذ أمر ربه بالدعوة العامة عبر خطوتين:

الخطوة الأولى: دعوة الأقربين من عشيرته وقومه هم بنو هاشم أو بنو عبد المطلب إلى الإسلام وإبلاغهم رسالة الله تعالى تنفيذًا لقوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ومما قاله لهم بعد أن جمعهم في بيته وكانوا أربعين رجلاً:

"يابني عبد المطلب إني لكم نذير من الله عز وجل، إني أتيكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تعطوني ترشدوا، وتفلحوا، وتنجحوا... فمن كفر بعد ذلك منكم فإن الله يعذبه عذاباً شديداً.. واتقوا الله واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يابني عبد المطلب أن الله لم يبعث رسولًا إلا جعل له أخاً وزيراً ووصيًّا ووارثًا من أهله، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي... لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه، فأئيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتني فيكم من بعدي".



فاحجم القوم عن الكلام غير علي عليه السلام إلى ثلاث مرات، فلما رأى النبي عليهما السلام سكوتهم وإصرار علي على الإجابة أخذ برقبه وقال: "إن هذا أخي ووصي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطعوه...".

فضحوك الجميع مستهزئين، وقالوا لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه وجعله عليك أميراً.

إن الابتداء بذوي القرابة والعشيرة يهدف إلى:

أولاً: ثبيت أولى دعائم الدعوة، لأنّه إذا استطاع أن يستقطب عشيرته الأقربين إلى الإسلام يستطيع بعد ذلك أن يتوجه إلى غيرهم بقدم ثابتة وعزم راسخ وإرادة مطمئنة.

ثانياً: دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بداعي القرابة على فرض أنّهم لم يؤمّنوا بدعوته.

ثالثاً: بلورة مدى استعداد البنية الداخلية من أقربائه وقومه للوقوف إلى جانبه والتحمُّل معه، ليتم من خلال ذلك تقدير المواقف المستقبلية في مواجهة التحدّيات.

رابعاً: التأكيد على أن ولاية علي بن أبي طالب عليهما السلام من الآن فصاعداً ركن من أركان هذا الدين.

الخطوة الثانية: دعوة عامة الناس بمن فيهم قريش إلى الدخول في الإسلام.

فقد ذكر المؤرخون: أنه بعد أنذر النبي عليهما السلام عشيرته الأقربين، وانتشر أمر نبوته في وسط مكة، بدأت قريش تتعرّض للنبي عليهما السلام بالاستهزاء والسخرية والتکذيب، وكان من جملة الذين المستهزئين به عمّه أبو لهب، فأنزل الله قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)، وكانت هذه الآية تمثل الأمر بإعلان الدعوة أمام جميع الناس مهما كانت النتائج، وقد وعده الله فيها بأنه سيكفيه المستهزئين ويتولّ هو عزّ وجلّ أمرهم. فكانت الخطوة الثانية تنفيذاً لأمر الله في الآية، حيث صعد النبي عليهما السلام على الصفا ونادى قريشاً وقبائل مكة فلما اجتمعوا قال لهم: "رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً في سفح جبل قد طلت عليكم أكنتم مصدقي؟"، قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم وما جربنا عليك كذلك فقط. فقال: "إنّي نذير لكم من عذاب شديد، إن الله أمرني أن أنذركم من عقابه، وإنّي لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلّا أن تقولوا لا إله إلا الله".

ردود فعل قريش

كان رد فعل قريش أمام جهره عليهما السلام بالدعوة، أن أذربوا عنه وتنكّروا للدعوة، وبدأوا يحاولون بشتّى الأساليب القضاء على حركته، وأهم المحاولات التي قاموا بها هي:



١- مواجهة النبي ﷺ بالتكذيب، والسخرية، والاستخفاف والاستهزاء، ورميه بأنواع التهم من قبيل ساحر ومجنون، وكان ذلك هو رد الفعل الأولى، ولم يصل رد الفعل هذا إلى حد المواجهة المباشرة، إلا أن استمرار النبي ﷺ بالدعوة وإصراره عليها من جهة، وتعريضه للآلهة قريش وأصنامها من جهة أخرى، واتساع نشاط النبي وتكاثر المسلمين باستمرار من جهة ثالثة، جعل المشركين يشعرون بجدية الموقف وخطورته والتفكير في محاولة جديدة بعيدة عن العنف، فقرروا ما سيلي في البند الثاني من المحاولات.

٢- مفاوضة النبي ومساومته على الدعوة، وقد مررت المفاوضات بثلاث جولات انتهت كلها بالفشل الذريع.

في الجولة الأولى: حاولت قريش استعطاف أبي طالب من أجل الضغط على ابن أخيه فقالوا له: "إن ابن أخيك قد سب الهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلاماً، وضلّل أبناءنا، إما أن تكتفه عناً وإنما أن تخلي بيننا وبينه"، فردهم أبو طالب ردًا رفيعًا على حد تعبير الطبرى، فانصرفوا عنه وواصل النبي ﷺ دعوه.

وفي الجولة الثانية: توافت قريش بالشدة وعدم المهادنة في الموقف فجاءوا إلى أبي طالب وقالوا له: "إننا كنا قد استنهيناك عن ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسيفيه آرائنا وعيوب آهنتنا حتى تكتفه عناً، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين"، فوعدهم أبو طالب أن يبلغ ابن أخيه موقفهم، فكان رد النبي ﷺ ذلك الرد الخالد: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته".

وفي الجولة الثالثة: عرضوا على أبي طالب أن يعطيهم محمداً ﷺ ليقتلوه ويأخذ هو في مقابلة عمارة بن الوليد أجمل فتى في قريش! ليكون في رعايته وكفالته بدل محمد، فرفض أبو طالب موبخاً لهم بقوله: لبئس ما تسوموني عليه أتعطونى ابنكم أغدوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً.

٣- مفاوضة النبي ﷺ ومساومته مباشرة عن طريق إغرائه بالمال والجاه، ولكن النبي ﷺ رفض عرضهم، ورأوا فيه رجلاً من نوع آخر لا طمع له في مال ولا سلطان.

٤- نهي الناس عن الالقاء بالنبي ﷺ والاستماع إلى ما يتلوه من قران، وقد تحدث القرآن عن ذلك بقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ).

٥- التعرض لشخص النبي ﷺ بالإيذاء المباشر، حيث رجموا بيته بالحجارة، وألقوا التراب على رأسه، وسلطوا الصبيان عليه يرمونه بالحجارة، وقد تعرض النبي لأذى لا مثيل له من سفهاء قريش وعبيدهم، وأحياناً من زعمائهم



ووجهاءهم كأبى جهل وعقبة بن أبى معيط وأبى لهب وزوجته التي كانت تضع الأشواك أمامه في طريقه وأمام داره حتى قال ﷺ: "ما أؤذى نبى ما أؤذى".

٦- اتّباع سياسة الإرهاب والتعذيب والتنكيل بالصفوة المؤمنة وخاصة بأولئك الفقراء والضعفاء، الذين لا عشيرة تحميهم كالياسر، وبلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ومصعب بن عمير وغيرهم.

وقد ضرب هؤلاء المثل الأعلى في الصمود والصبر والثبات والجهاد والتضحية من أجل العقيدة والمبدأ والحق.

٧- استخدام سلاح الحرب الإعلامية والدعائية ضدّ النبي ﷺ بكلّ ما تقتضيه من مجادلة ومهاترة وترويج إشاعات كاذبة، فقد كانوا يروجون بين الوفدين إلى مكة: "إنّ هذا الرجل ساحر، وأنّه يفرق بين المرأة وأبيه، وبين المرأة وزوجها، وبين المرأة وعشيرتها، وأنّ ما يأتي به إنما يتعلّمه عند رجل نصراني اسمه جبر"، وقد ردّ عليهم القرآن بقوله تعالى: (وَلَقَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَّرٌ لَّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمَىٰ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ).

٨- المقاطعة لبني هاشم، وفرض حصار اجتماعي واقتصادي عليهم، وهو ما عرف بحصار الشعب.

مواجهة تحديات قريش

اتّبع النبي ﷺ في مواجهة محاولات قريش للقضاء على الإسلام، الخطوات التالية:

١- رفض كلّ أشكال المساومات والضغوط، والإصرار على الاستمرار في الدعوة، والثبات والصبر على الأذى والتحديات.

٢- الاتّصال الشخصي وال مباشر بكلّ الأفراد والجماعات الوافدة إلى مكة، وعرض الإسلام عليهم وعلى سائر القبائل، خاصة في المواسم، فكان لا يسمع بقادم إلى مكة له اسم وشرف ونفوذ إلاّ وبادر إلى اللقاء به، وكان لا يدع مناسبة يجتمع فيها الناس إلاّ قصدتهم إلى أنديتهم ليدعوهم إلى الله.

٣- توسيع دائرة الدعوة إلى خارج مكة وذلك من خلال أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وخروجه هو ﷺ إلى الطائف، وإنجاز بيعة العقبة والتي سنتعرّض لها في الدروس القادمة إن شاء الله.



أختبر نفسك

١- اذكر الآيات القرآنية التي تشير إلى الدعوة الجهرية؟

.....

.....

٢- ما هي ردّة فعل قريش تجاه الدعوة الإسلامية؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٣- ما هي أهم الخطوات التي اتبّعها النبي ﷺ في مواجهة محاولات قريش للقضاء على الإسلام؟

.....

.....

.....

.....

.....



مقططفات في مكة

مقططفات في مكة



صحيفة المقاطعة

لقد أيقنت قريش بعد المراحل التي مرّت بها مع الدعوة الإسلامية أنَّ جميع ما قامت به من صنوف الأذى والتعذيب ومن جهود لمحاربة هذا الخارج عليها وعلى دينها ودين الآباء والأجداد لم يحل ولن يحول بين الناس وبين الذي يدعو إليه محمد بن عبد الله عليه السلام، فالMuslimون يزدادون يوماً بعد يوم، وأصبحوا قوَّة لا يمكن مكافحتها إلَّا بحرب أهلية قد يكون خطرها على قريش وأتباعها أشدَّ من خطرها على المسلمين، فما من بيت إلَّا وفيه من آمن بها أو هو على وشك الإيمان بها، وقد امتدَّ خطرها إلى خارج الحجاز إلى الحبشة في جوار ملك رحيم فتح لهم قلبه وصدره وأتاح لهم أنْ يقولوا ما يشاؤون ويفعلوا ما يريدون، والعرب على اتصال دائم ببلاد الأحباش، فماذا يصنعون بعد أن أحاط بهم خطر محمد عليه السلام وأصحابه، وبعد أن باهت جميع محاولاتهم للحدَّ منها بالفشل؟

وبعد تفكير طويل من زعمائهم اتفقوا على تجربة جديدة وهي الحصار الاقتصادي وستكون نتيجتها حسب تقديرهم أحد أمرين لا ثالث لهما، إما رجوع محمد عليه السلام إليهم مهادناً، وإما القضاء عليه وعلى من معه من الهاشميين وأتباعه جوَّاً وعطشاً من غير أن يكونوا مطالبين بدمه ودم أتباعه، فاتفقوا على ذلك وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه أن لا ينكحوا بني هاشم ولا ينكحوا منهم ولا يتعاملوا معهم بشيء بيعاً وشراء مهما كان نوعه، ولا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، ووقع على الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش وعلقوها في الكعبة وحصروهم في شعب أبي طالب.

وكانت أهم بنود الوثيقة التي تم التوقيع عليها من أجل القضاء على النبي عليه السلام ودعوته:

١- أن لا يزوجوا أحداً من نساءهم لبني هاشم، وأن لا يتزوجوا منهم.

٢- أن لا يتبعوا منهم شيئاً، ولا يبيعوهم شيئاً مهما كان نوعه.



٣- أن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور.

٤- أن يكونوا يدًا واحدة على محمد وأتباعه.

قدَرَتْ قريش أنَّ هذا الحصار سيؤدي إلى أحد ثلاثة أمور: إِمَّا قيام بنى هاشم بتسليمهم النبي ليقتلوه، وإِمَّا

أن يتراجع النبي عليه السلام عن الدعوة، وإِمَّا القضاء عليه وعلى جميع مَن معه جوعًا وعطشاً تحت وطأة الحصار.

ودخل بنو هاشم الشعب وقد كانوا أكثر من أربعين رجلاً عدا نسائهم وأطفالهم وحسن أبو طالب الشعب وتولى بنو هاشم حراسته في الليل والنهار مخافة أن يتسلل أحد من المشركين إلى النبي محمد عليه السلام ويغتاله على حين غفلة مِن قومه، وكانت قريش تظنَّ قوياً أنَّ هذه التجربة السلبية بما تسطوي عليه مِن تجويع ومقاطعة كاملة ستكون أقوى أثراً من سياستهم الأولى سياسة التعذيب والتنكيل.

وكانَتْ قريش ترجو مِنْ هذه المقاطعة تغيير موقف محمد عليه السلام، أو على الأقل تنتهي إلى اعتزال قومه

إِيّاه.

ولكنَّ محمدًا عليه السلام الذي اختاره الله لرسالته لم يغير منه هذا الموقف شيئاً، وازداد تصميماً على المضي فيها معتصماً بحبل الله سبحانه صابراً على ما أحاط به وبقومه ولم يزد أهله والذين اتبعوه إلا تمسكاً به وتصميماً على الذود عنه وعن رسالته.

وظلَّ المسلمون في شب أبي طالب يقايسون الجوع والحرمان وقد استمرَّ الحصار ثلاث سنوات من السنة السادسة حتى التاسعة للبعثة، وكان المسلمين خلاله ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب، حتى نفت واضطروا أنْ يقتاتوا بورق الشجر، ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذٍ وبيعون ضمن ظروف صعبة جداً.

انتهى الحصار بعدما أكلت الإرضة بمعجزة من الله عز وجل ما كتبه المشركون في صحيفة التي تعاقدوا فيها على الحصار، وقام جماعة منهم ممَّن تربطهم ببني هاشم علاقات نسبية بتنقض الصحيفة وإلغاء مفاعيلها.

وانتهى أمر الصحيفة وما جاء فيها بعد موقف هؤلاء الذين أبْت نفوسهم الكريمة هذه القطيعة التي كادت أن تقضي على الهاشميين وأتباعهم من الجوع والحرمان، وعاد محمد عليه السلام ومن معه من الشعب بعد تمزيق الصحيفة واستأنف دعوته في مكة ومع القبائل التي تقصدها في أشهر الحجّ والأشهر الحرم.

عام الحزن



بعد أحداث المقاطعة الاقتصادية والحصار الذي قام به المشركون ضد المسلمين، وبعد نقض تلك الصحيفة الجائرة، انطلق المسلمون من الشعب يستأنفون نشاطهم الدعوي، بعدما قطع الإسلام في مكة قرابة عشرة أعوام مليئة بالأحداث الجسمانية، وما أن تنفس المسلمون من الشدة التي لاقوها، إذا برسول الله عليه السلام يصاب بمصيبيتين عظيمتين هما: وفاة زوجته السيدة خديجة، ووفاة عمّه أبي طالب.

هاتان الفاجعتان الأليمتان في أشهر معدودات أو أيام معدودات كل واحدة منها على انفرادها تكفي لأن تترك أقوى النفوس ككلمة مضعضعة فكيف وقد اجتمعا على محمد عليهما السلام في عام واحد، وأخصامه يتذمرون تلك اللحظات.

ولكنَّ محمداً عليهما السلام بالرغم من وطأة تلك النكبة وأثرها العميق في نفسه مضى في طريقه وتتابع سيرته، وجدت قريش في إيزاده والتنكيل بأصحابه، وكان من أيسر أنواع الأذى الذي أنزلته به بعد أنْ فقد عمّه أنْ مرّ عليه أحد سفهاء قريش فاعترف بكلتا يديه من التراب والأوساخ وألقاها على وجهه ورأسه، فدخل بيته والتراب قد لطخ وجهه ورأسه، فقامت إليه ابنته فاطمة عليها السلام وكانت أصغر بناته وجعلت تغسل التراب عن رأسه وتبكي وهي حديثة عهد بتلك الفاجعة الأليمة التي تجرع أبوها مرارتها.

وكان بكاؤها موجعاً لقلبه ونفسه والتفت إليها وعينها تهمي بالدموع ومسح رأسها بكلتا يديه وقال لها: "لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته".

الإسراء والمعراج

لقد اتفق المسلمون على أنَّ النبي عليهما السلام أُسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه عُرِج إلى السماء ليرى من مظاهر قدرة الله وعجائب مخلوقاته ما خفي على أهل الأرض وعجزت عنه عقولهم ومداركهـم، ونص القرآن الكريم على المرحلة الأولى من مراحل تلك الرحلة في الآية الأولى من سورة الإسراء: (سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكَنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ أَيَّتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

بدأ النبي رحلته من بيت أمّ هانئ أخت الإمام علي عليهما السلام حيث ركب النبي عليهما السلام على البراق متوجهًا إلى بيت المقدس في فلسطين، والذى يسمى المسجد الأقصى، وتفقد بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح ومنازل الأنبياء عليهما السلام وآثارهم، وصلّى عند كل محراب ركعتين. ثم بدأ في القسم الثاني من رحلته، المعراج إلى السموات العلوى، فشاهد النجوم والكواكب، واطلع على نظام العالم العلوي، وتحدث مع أرواح الأنبياء والملائكة،



واطّلع على مراكم الرحمة والعقاب -الجنة والنار- ورأى درجات أهل الجنة، وتعرف على أسرار الوجود ورموز الطبيعة، ووقف على سعة الكون وآثار القدرة الإلهية المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ سدرة المنتهي، فوجدها مسريلة بالعظمة المتناهية والجلال العظيم. وهنا كان قد انتهى برنامج الرحلة، فأمر بالعودة من حيث أتي، فمرّ في طريق عودته، على بيت المقدس ثانية، ثم توجه نحو مكة، مارًّا على قافلةٍ تجاريةٍ خاصة بقريش، وبناقة لهم قد ضللت في البداء يبحثون عنها، وشرب من مائهم، ثم ترجل عن مركبته الفضائية (البراق) في بيت أم هانئ، قبل طلوع الفجر. فأخبرها بما حصل، كما كشف عنه في أندية قريش صباح نفس تلك الليلة. إلا أن قريشاً كعادتها كذبته وأنكرته، على أساس عدم استطاعة النبي ﷺ القيام بذلك في ليلة واحدة، وطلبوها منه أن يصف بيت المقدس، فوصفه النبي ﷺ وصفاً شاملاً، مع ما شاهده في الطريق.



أختبر نفسي

١- عدّد أهم بنود صحيفة المقاطعة لبني هاشم. وما نتائجها؟

.....

.....

.....

٢- لماذا سمى النبي ﷺ عام الحزن بهذا الاسم؟

.....

.....

.....

٣- ما هي حادثة الإسراء والمعراج؟ من أين بدأت؟ وإلى أين انتهت؟

.....

.....

.....



هجرات المسلمين



درس اليوم

الهجرة إلى الحبشة

هاجر المسلمون إلى الحبشة في رجب من السنة الخامسة للبعثة بعدما أمرهم النبي ﷺ بذلك وقال لهم: إنّ بها ملّاكاً لا يظلم عنده أحد. وكان عددهم في أرض الحبشة ثلاثة وثمانين ما بين رجل وامرأة عدا الأطفال، وكان في مقدمتهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ.

وعلى ما يبدو أنّ الهدف من هذه الهجرة:

أولاً: التخلص من الضغوط وسياسة الإرهاب والتعذيب التي كان يتعرّض لها المسلمين داخل مكّة، وإيجاد مكان آمن للمسلمين ولكلّ من يدخل في الإسلام يستطيعون فيه ممارسة شعائرهم بحرّية، بعيداً عن أذى قريش ومضايقاتها وأضطهادها.

ثانياً: التبشير بالإسلام ومبادئه وأهدافه وأحكامه، والترويج له والتعريف به خارج الجزيرة العربية، بدليل هجرة جماعة ممّن لم يتعرّض للتعذيب أو التشكيل، كجعفر بن أبي طالب من جهة، وبقاء المهاجرين في الحبشة إلى ما بعد السنة الثالثة أو السابعة بعد الهجرة النبوية إلى المدينة من جهة أخرى.

ثالثاً: توجيه ضربة لكبرياء قريش، ولتدرك أنّ قضية الإسلام تتجاوز حدود تصوّراتها وقدراتها، وأنّ المسلمين قادرون على تجاوز حدود الوطن والتخلي عن كلّ شيء في سبيل إنقاذ عقيدتهم وإسلامهم.

الخروج إلى الطائف

خرج النبي إلى الطائف في السنة العاشرة من البعثة وأقام فيها عشرة أيام يتجوّل بين أحيائها ويدعو أهلها إلى الإسلام، ولكنّهم لم يسمعوا منه، بل جلسوا في الطريق يرمونه بالحجارة حتّى جرح في رأسه، فانصرف رسول



الله ﷺ راجعاً إلى مکة.

وقد كان يهدف النبي ﷺ من الانتقال إلى الطائف إلى الإعداد إلى المستقبل باعتبار أنّ الطائف هي البلد الثالث الذي له موقعه ونفوذه الخاص في المنطقة نظراً لوجود قبيلة كبيرة فيها هي ثقيف، فلا بدّ من التمهيد إلى إسلامهم في المستقبل.

وربما تكون ثمة أهداف أخرى منها: إيجاد قاعدة ارتکاز لدعوته في الطائف بدل مکة، بعد أن وجد ﷺ أنّ مکة لا تصلح أن تكون قاعدة لعمله الرسالي، وخصوصاً بعدما أثّرت عمليات التعذيب والإرهاب التي مارستها قريش بحق المسلمين في التأثير على نشاط النبي ﷺ والحدّ من انتشار الإسلام بين الناس.

بيعة العقبة

بعد أن عاد النبي ﷺ من الطائف استأنف جهوده عند حلول موسم الحج متقدلاً بين وفودها، حيث اجتمع بستة من أهل يثرب المدينة في السنة الحادية عشرة منبعثة، فدعاهم لرسالته، فآمنوا به، وأقسموا أنّ يعملوا في سبيلها عند عودتهم إلى بلدتهم.

ولم يكن اجتماعه بهؤلاء الستة عملاً عفوياً، بل كان مقصوداً، حيث اجتمع بهم بشكل شبه سرّي، وركز على عدد محدود، لا كما فعل مع باقي الوفود حيث كان يدعوها علانية.

واستهدف الرسول ﷺ من هذا الاجتماع حتّى هؤلاء الأشخاص على القيام بنشاط في بلادهم لتهيئة الجوّ وخلق مناخ مؤيد ومتعاطف مع الدعوة ومبادئها الجديدة في المدينة.

العقبة الأولى

وعندما حلّ موسم الحجّ في العام الثاني التقى ﷺ مع اثنى عشر رجلاً من اليثريين، واجتمع بهم سرّاً في وادي ضيق بالعقبة بين مکة ومنى، وهي العقبة الأولى، وقد أعلنا فيها إيمانهم واستعدادهم للعمل على نشر الإسلام، وبأيّد رسول الله ﷺ على ذلك.

فلما أرادوا الانصراف إلى بلدتهم، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير من أجل أن يعلمهم الإسلام، ويفقّههم في الدين، ويجعل منهم قوّة أكثر فاعلية ودقة في نشر الدين الجديد في صفواف أهل المدينة.

استطاع مصعب بن عمير بفعل وعيه وخبرته بشتى أساليب العمل والتبلیغ أن يقوم بواجبه كما أراد رسول



الله ﷺ، وكان عدد المسلمين في المدينة يزداد يوماً بعد يوم، وأصبح جوًّا المدينة العام مؤيداً للرسول ﷺ، ومهيئاً لقدرته.

العقبة الثانية

وفي العام التالي أي في السنة الثالثة عشرة منبعثة وبعد مرور عام كامل على بيعة العقبة الأولى عاد مصعب بن عمير إلى مكة ومعه جمع كبير من مسلمي المدينة، خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين، ويدوأن مصعباً قبل حضوره إلى مكة، كان قد رتب اجتماعاً بين الرسول ﷺ وبين مسلمي يشرب بعد انتهاء موسم الحجّ.

فالتقى بعضهم بالنبي ﷺ وواعدهم أن يجتمع بهم في العقبة في اليوم الثاني من أيام التشريق ليلاً، وأمرهم بالحفظ على سرية الاجتماع، وفي الليلة المعيينة تم الاجتماع بحضور علي عليه السلام والحمزة في الدار الذي كان ينزل فيه الرسول ﷺ وهو دار عبد المطلب، فباعوه على حمايته، وعلى أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وعلى أن ينصروه ويقفوا إلى جانبه في الشدة والرخاء، كما باباعوه على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن يدعوا إلى الله ولا يخافوا في الله لومة لائم، وقد سميت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية.

لقد نجح النبي ﷺ في نهاية المطاف بفعل إصراره على مواصلة الدعوة وعدم يأسه أو استسلامه أمام الفشل الظاهري في الطائف وفي مكة، وبفعل الثقة بوعد الله سبحانه بالنصر، في إيجاد القاعدة المناسبة التي يرتكز عليها الإسلام فكانت يشرب موضع اختياره الجديد.

وكانت بيعة العقبة هي الخطوة الرئيسية التي مهد فيها النبي ﷺ للهجرة إلى المدينة المنورة، وبالهجرة إلى المدينة تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل الدعوة وهي مرحلة بناء الدولة، والدفاع عن الإسلام، والتي سنطلع عليها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.



أختبر نفسك

١-ما هي أهداف هجرة المسلمين إلى الحبشة؟

٢-لماذا خرج النبي عليه السلام للدعوة أهل الطائف؟

٣- وُضِّحَ بِإِيْجَازِ حَادِثَةِ بِيعَةِ الْعَقْبَةِ.